

إلى عهد يستشرف إلى ما فيه من المتاع الحلال في ظلّ الزوجة  
المحبوبة المحبّة؛ فسمى زوجته وعقد عقده، ثم وقف ينتظر اليوم  
الذي يبني فيه بأهله تلقاً بهجان ، واليوم الموعود لا يبحن لأن  
التقاليد تيمد به كلما موعده ...

وأما (ع) فشاب قد انقرد في الحياة من أهله : فقد أمه  
وهو غلام ، فما كاد يستوى شبابه حتى مضى بلمس ما فقد منذ  
طفولته من حنان الأنثى ، فتزوج ، ثم فقد زوجته ؛ ثم تزوج ،  
فما بقيت الثانية إلا بمقدار ما بقيت الأولى ، ولكنها خلقت  
بضعة منها بين يديه مصورة في طفلة سلبها القدرة أمها يوم  
منحتها الحياة !

... هو أب ولازوج له ، وهو عزب وكانت له زوجتان ،  
وهو فتي يؤمن بالله ويلحد في القدر ، وهو شخصيتان منفصلتان  
تعرف إحداهما في المسجد وتعرف الثانية في الشارع ،  
وله عين عفة وعين فاجرة ؛ وله في الحياة تجربة ورأى ، وله إلى  
الموى والمذات مثل اندفاع الشاب الذي لم يذق ولم يجرب بعد  
ثلاثة نفر لكل منهم رأيه في الحياة ومذهبه ، ولكنهم قد  
التقوا في مجلس الرافعي طي هوى واحد ، فأحلوه من أنفسهم  
وأحلهم من نفسه ؛ فكان له من أحاديثهم شعور الشباب ولم  
من حديثه حكمة الشيخ ، وللأدب من كل مجلس يجمعهم وإياه  
موضوع حي مما كتب الرافعي لقراء الرسالة ...

ومن هذه الموضوعات « قصة أب »

ذلك هو الصديق (ع) كان الله له ... !

جلس مجلسه يوماً إلى الرافعي يشكو بشه وهمه والهموم  
تترفق في عينيه ؛ واستمع الرافعي إلى شكاه متأماً حزينا ؛ فما  
فرغ (الأب) من قصته حتى جمع الرافعي (قصصات) الحديث  
فجعلها في جيبه وجلس يتفكر ... ثم كانت « قصة أب »  
وفي الأسبوع التالي كان زفاف ابنته إلى ابن أخيه (١) في  
حفل أهلي خاص وصفه الرافعي في مقاله « عرش الورد » ؛ وهو  
العرش الذي نظمه بيده الأستاذ سامي الرافعي لمجلس المروسين ،  
وجعل فيه فنّه وعاطفته نحو أخته وابن عمه وقدمه إليهما  
هدية عرس

(١) هو الأستاذ محمد سعيد الرافعي مبدع كلية الزراعة في أمريكا ،  
وزميل الأستاذ سامي الرافعي ابن المترجم

## لهؤوب والتاريخ

# مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ - ١٩٣٧

للاستاذ محمد سعيد العريان

- ٣١ -

## مقالاته للرسالة (٢)

كان أكثر جلساء الرافعي في هذه الفترة هم الأصدقاء  
(س. ا. ع.) ، فكان لهم سره ونجواه ، وإلى موعدم منداه  
ومراهه ؛ وكان حديثهم إليه وحديثه إليهم هو عنده مادة الفكر  
وموضوع الكتابة ؛ وكان لكل واحد من الثلاثة الأصدقاء في  
هذه الفترة مشكلة تملأ فراغ رأسه ، فهي له في الليل مشغلة وفي  
النهار مشغلة ...

أما (س) فكان على نية الزواج ، وقد ترامت أمانيه إلى  
واحدة من أهله ، ولكن (التقاليد) وقفت بينها وبينه موقفاً ما ،  
أورثه نجيحاً وملاحة وسخطاً على الناس وتبرماً بالحياة وخروجاً  
على ما تواضع الناس عليه من التقاليد في شئون الزواج ...  
وأما (ا) فكان في عهد بين عهدين من حياته : قد ودّع  
ما فيه مما فيه من عبث وجمانة ، وطلّق شهواته وزوانه

الحية ، فيترجم أولاً إلى اللغات الانجليزية والفرنسية (١) ، وما ذلك  
إلا لأن ترجمة كلام الله للكريم في كتابه المميز أمر مستحيل .  
كذلك تألفت في حيدرآباد (الهند) هيئة جمعت عدداً من أجلاء  
الهند بشيها نشر ترجمة للقرآن الكريم بمختلف اللغات الحية  
ببندة باللغة الانكليزية تنفق ومذهب أهل السنة . (٢)

وإذا ما هي قيمة جميع التراجم الموجودة للقرآن ؟

(البحث يفة) إبراهيم إبراهيم بومف

(١) راجع :

Oriente Modeno, XVI, 1936, S. 292 f. 560, 710 f, und XVII  
1937, S. 114

(٢) راجع :

Oriente Moderno, XVI, 1936, S. 311 f

... كان يستاد الرافى كما يستاد كل إنسان، نوبات من الضيق والهم تقعد به وتصرفه عما يحاول من عمل؛ ولم يكن له علاج من هذا الضيق الذى يعتاده إلا أن يقرأ قرآناً أو ينظر فى كتاب من كتب السيرة النبوية، فينفرج همه ويذول ما به، ويهون عليه ما يلقى من دنياه ...

فى نوبة من هذه النوبات التى تضيق بها الدنيا على إنسان، تناول الرافى كتاباً من كتب الشرائع يسرّى به عن نفسه، فاتفق له رأى ... وخرج من مطالعته بمقالة «الانسانية العليا»

\*\*\*

... وكان للرسائل التى ترد للرافى فى البريد من قراء الرسالة أترىوحى إليه فى أحيان كثيرة بما يكتب لقراءه، فعلى منهم وإليهم؛ فنذ بدأ الرافى يكتب فى الرسالة أخذت رسائل القراء ترد إليه كثيرة متتابعة فى موضوعات شتى ولناسيات متعددة، حتى كان يبلغ ما يصل إليه أحياناً فى اليوم الواحد ثلاثين رسالة؛ وكان يقرؤها جميعاً ويحفظها فى درج خاص من مكتبته؛ وسأحدث عن هذه الرسائل فى باب خاص له موعده، إنما ينينى اليوم أن أحدث عن الموضوعات التى استملاها من رسائله. ومن هذه الموضوعات مقالة «تربية لؤلؤية»

كانت تصدر فى القاهرة فى ذلك الوقت مجلة (الأسبوع) وقد فتحت صدرها لطائفة من شباب الجنسين يكتبون فيها وحى عقولهم وقلوبهم و... وغرائزهم، وكانت صفحاتها لهؤلاء الشبان والشابات أوسع من صدر الحليم، فلم تلبث بهذه الساحة أن صارت - كما يقول العامة - بطن حمار، وأصبحت ميداناً للفزل البريء وغير البريء، وموعداً من مواعيد التلاقى والوجاع وفى سيحجة يوم، حمل البريد إلى الرافى رسالة من سيدة كريمة، تافته إلى محاوراة داعرة تترك فيها أقلام طائفة من الشبان فى مجلة الأسبوع. وبث الرافى فى طلب أعداد المجلة فجاء بها؛ فقرأها حتى تناول القلم وأمل على مقالة «تربية لؤلؤية» فى هذه المقالة، خلاصة رأى الرافى فى حرية المرأة وحقوقها فى المساواة؛ وترى لهذا رأى بقية نيا نشر من مقالات الزواج والطلاق، والجبال البائس، وغيرها؛ وهو يزعم أنه بهذا رأى من أنصار المرأة عند من يترف أين يكون انتصار المرأة. وللرافى حين يتحدث فى هذا الموضوع حجة قوية وبرهان ماض، إلى

ولما جلس العروسان ذراعاً إلى ذراع فى عرش الورد، يارك لها الرافى ودعا؛ ثم خرج ليضى ساعات فى القهوة. ولتبقى هناك وحدى، فانتحينا ناحية على حيد الشارع لا يترامى إليها من أسواء القمر إلا شعاع حائل؛ وكان الرافى يؤثر دائماً أن يجلس مجلسه على ذلك الرصيف فى جانب من القهوة، ويحميه «بلاج طنطا» إذ كان انتساح الشارع أمامه، وما يتعاقب عليه فى الليل والنهار من ألوان الجبال فى الطبيعة والناس - مما يجيب إلى العين أن تنظر، وإلى النفس أن تنبسط، وإلى الفكر أن يبدع فيما يخلق من ألوان الجمال ...

وكان الليل ناعماً بحلم، والطبيعة ساجية لا يُسمع من صوتها إلا همس خافت، وفى الجو شمر بهزج فى سرار النسيم وفى حفيف الشجر، وعرائس الخيال تطيف راقصة تنفخ بالمطر وترق بالأنور. ولكن الرافى جلس مجلسه صامتاً لا يتحدث، إلا كلمات إلى النادل يطلب كوب ماء ليشرّب أو جرات للكركرة ... واحترمت صمته فسكت عنه ...

ومضت ساعة، ثم رفع عينيه إلى وهو يقول: «الليلة عرس ابنتى ... !»

ولم يسمع جوابى، لأن دمة كانت تترقق فى عينيه وهو يتحدث حبسنى عن الجواب ... !

دمة لم أترجم معناها إلا بعد سنتين، يوم جاءني بقول والدهم يلعب تحت أهدابه: «إن وهية مسافرة إلى زوجها فى أمريكا؛ ليس من الحن أن تبقى هنا وهو هناك!» ثم يوم جادني بمدى يقول وفى يده صحيفة أمريكية. «انظر هذه الصورة، إنهم يسمونه هناك: أسفرايح مصرى فى أمريكا.. إنه حفيدى الصغير ... !»

لقد كان الرافى يحب أولاده حباً لا أعرف مثله فيمن أعرف؛ ووهية كبرى أولاده، ذكرها فى «الديوان»، وغنى لها فى «النظرات» وأرخ زواجها فى «عرش الورد»

\*\*\*

وكانت المقالة التالية هى «الانسانية العليا» وهى باب من الفول فى الأدب الدينى تنتظم مع «وحى الهجرة» و«الاشراق الالى» و«سمو الفخر» تحت باب واحد ...

ولكل منهم في المرأة رأى؛ مما تخيلها، أو مما كابدها، أو مما شق بها...

والرافعي رجل قد فارق الشباب وخلعه فيما خلع من ماضيه؛ وإنه لزوج وأب ويوشك أن يكون جدياً؛ فلا قدرة له على أن يعود القهقري إلى ماضي شبابه يستوحيه خواطر الفتيان وأحلام الشباب في المرأة والحب والزواج؛ وهؤلاء الأصدقاء - على ما قدمت من نعمتهم في أول هذا الفصل - تجمعهم صفة المزوجة على اختلاف ألوانها؛ وما زالون في باكر الشباب وفي يقظات الحلم؛ وكلهم قد مارس المرأة نوعاً من المراسم؛ وفي وهمه أو في حياته...

فما كاد الحديث يبدأ بين الرافعي وأصدقائه حتى أخذ يتشعب فنوناً، وساقهم الرافعي بحسن احتياله إلى هدف يرى إليه... فما انقض المجلس حتى كان ثلاثتهم على ميعاد مع الرافعي ليجيبوه كتابة عن أسئلة ثلاثة وجهها إلى كل منهم، على أن يلتزم الصدق، ويجانب الحياء، ويخلص في الإجابة؛ وكانت الأسئلة هي:

(أ) كيف ترى المرأة في وهمك؟ وأين مكانها من حياتك؟ وماذا مارست من شأنها وعرفت من خبرها؟

(ب) لماذا لم تتزوج؟

(ج) صف ما تحب من أخلاق زوجتك المستقبلية؟

وجاء الميعاد المضروب، وسى الأصدقاء الثلاثة إلى الرافعي بأجوبتهم؛ ففما كانت مقالة الرافعي (س. ١. ع) وهي أولى مقالاته في الزواج؛ ثم تتابعت مقالاته في هذا الموضوع، نخطا بها إلى قلوب الشباب خطوات، وكان بينهم وبينه من قبل سد منيع

قبل أن يكتب الرافعي هذه المقالة بأيام، جاءه رسالة من بعض الأدباء يسأله أن يكتب إليه في أسباب أزمة الزواج؛ استيفاء لبحث يهيم أن يصدره في كتاب... وأحسب أن هذا السؤال كان الحافز الأول للرافعي إلى الكتابة في هذا الموضوع. وقد بعث الرافعي إلى السائل بجواب سؤاله؛ وكان جواباً فيه كثير من الدقة والتحديد والعمق، ولم أقرأه منشوراً منذ أرسله إلى طالبه بدأ كثير من الشبان يهتمون بما يكتب الرافعي؛ إذ كان بهذا الموضوع يعالج مشكلة كل شاب عذرب، وتضاعفت رسائل القراء إليه، وطال الجدل في موضوعه بين طوائف من الشباب في مجالسهم الخاصة...

روح رفاقة وشعر ساحر. ولست واجداً أحداً يرد عليه في ذلك على قلة من يجد من أنصاره، وقد جلست مرة إلى المربي الكبير الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف نداول الرأي في أدب الرافعي ومذهبه الاجتماعي لمناسبة ما فيها كتب الرافعي للرسالة، فقال لي: «إنك لن تجد أحداً من أنصار الجديد يرضى هذا المذهب، ولكنك لن تجد أحداً - أيضاً - يستطيع أن يصاول الرافعي في هذا الميدان بمثل حجته وقوة إقناعه...»

... وأرضى الرافعي بهذا المقال السيدة الكريمة التي كتبت إليه، ولكنه أغضب مئات من القارئات وعشرات من القارئین؛ فانتالت عليه الرسائل من هؤلاء وهؤلاء غاضبة مستنكرة، إلا بضع رسائل...

ولا كتب مقالة «تربية لؤلؤة» وأرسل بها، ركب قطار البحر إلى الإسكندرية ليستريح يوماً هناك، يتروّد فيه لفنه وأديه من عرائس الشاطئ... كان قد كتب مقاله السالف وأرسل به، ولكن ممانيه بقيت في نفسه؛ فلما ذهب إلى الشاطئ وجد تمام موضوعه، فعاد ليجلي على مقالة «لحوم البحر» وهي قصيدة مترجمة عن الشيطان على نسق من النثر الشعري فاق فيه الرافعي وغلب...

\*\*\*

كان للرافعي عادة حين يعجبه موضوع مما كتب أن يسأل عنه كل من يلقى من أصحابه... «هل قرأت مقالتي الأخيرة...؟ وما رأيك فيها...؟ هل يملك أحد أن يمرض لرأى فيها بالنقد...؟»

وكان يمتد كثيراً بمقالة «تربية لؤلؤة»، وفي ذات مساء بعد نشر تلك المقالة، قصد إلى القهوة ليربح أعصابه؛ فصادف الأصدقاء (س. ١. ع)؛<sup>(١)</sup> فما كاد يستقر به المجلس بينهم حتى أخذ يسأل كل واحد: «هل قرأت...؟ ما رأيك...؟ هل يملك أحد...؟»

كان للرافعي في كل واحد من أصدقائه الثلاثة رأى، وكان لكل واحد في نفسه حقيقة، ولهم في الحياة نظرات تقترب وتقترب؛ وكلهم قد حُرموا المرأة لوناً من ألوان الحرمان؛

(١) اوع: ما الصديقان أمين حافظ شرف، وعبد الله عمار؛ وكانا زميلي الرافعي في محكمة طنطا

## تعليم أبناء الفقراء

في إنجلترا

للأنسة الفاضلة أسماء فهمي

درجة شرف في التاريخ ودرجة الأستاذية من إنجلترا

وأستاذة بمعهد التربية

استأثرت الطبقات الثنية في إنجلترا بما كان يعد أرقى أنواع التعليم والثقافة إلى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر . وكان يتلقى أبناء تلك الطبقات العلم في المدارس الخصوصية وفي جامعتي أكسفورد وكمبرج، ذات النفقات الباهظة والزرعة الأرستقراطية البهجة، تلك المهاد التي استجالت بالتدرج إلى معاهد خاصة بذوى اليسر والجاه وأن لم تنشأ في أول الأمر من أجل هذه الطبقة بالذات أما أبناء الطبقات الفقيرة فكانوا يتلقون فنون العلم في مدارس أولية متواضعة تشبه الكتاتيب في مصر في أكثر نظمها وأساليبها . وكان يقوم بتأسيس هذه المدارس الجمليات الخيرية وأهل البر والإحسان؛ أما الحكومة فلم تتدخل في أول الأمر تدخلاً مباشراً في شؤون التعليم بل اكتفت بتقديم الإعانات المالية للجمميات ابتداء من سنة ١٨٣٣ ، ويتكوي اللجان من حين إلى حين لدراسة حالة التعليم وتقديم الاقتراحات والتقارير للقائمين بشأنه، مما كان له أثر في النهوض بالتعليم وتوجيهه التوجيه الصالح وقد كانت نظرة الحكومة والتطوعيين لنشر التعليم بين الفقراء قاصرة مبتورة، إذ كان الغرض مجرد القضاء على الأمية وتعليم الأطفال بمض الأعمال اليدوية التي قد تساعدهم على كسب الرزق . وعلى ذلك كان منهج الدراسة الأولية عبارة عن مبادئ القراءة والكتابة والحساب والدين ذلك الذي كان يمزج بتلقين الطاعة للرئيس والقناعة بنصيب المرء في هذه الحياة الدنيا . والواقع أن التعليم كان مبنياً على أساس الاحتفاظ بنظام الطبقات المتبق وخضوع الفقراء للأغنياء ، فكان يخشى أن يؤدي التوسع في تعليم الفقراء إلى عدم رضاهم بحظهم من الحياة . ولقد تجلت تلك النظرة المحدودة في تقرير اللجنة المروفة بلجنة نيوكاسل Newcastle Commission التي عهد إليها بدراسة حالة تعليم أبناء الشعب فأصدرت تقريراً وافياً عام ١٨٦٠ أعلنت فيه رضاهها عن حالة

فلما كانت أيام بمد مقالة (س . ١ . ع) جاء إلى مجلسنا في القهوة شاب من أصدقاءنا المتأدين ، هو الأستاذ إسماعيل خ ، وهو محام ناشئ له ولوع بالأدب وشهوة في الجدل ، وفيه إلى ذلك لين في الخلق وشهوة في الطبع ؛ وكان الرافعي يعرفه عرفاننا فما رآه حتى وجد فيه عنوان مقالة ... قال عليه يسأله ضاحكاً ... وأجاب الأستاذ إسماعيل : « الزواج ! وما يحملني على هذا العنت ؟ أتريدني على أن أبيع حريتي من أجل امرأة ؟ ... » ومضى يؤيد دعواه بالبراهين والأمثال ...

وتم للرافعي موضوعه ، فأملى عليّ في اليوم التالي مقالة « استنوق الجمل »

في هذه المقالة يجد القراء سبباً آخر لانصراف الشباب عن الزواج غير ما قدم س . ١ . ع في المقالة السابقة ؛ فهي الحلقة الثانية من هذه السلسلة ...

وأحس الرافعي بالتعب ، فانصرف عن الكتابة أسبوعاً ليستريح ، ولم من هنا ومن هناك طائفة من منشور القول فأرسله إلى الرسالة بعنوان كلمة وكلمة . وهي عبارات قصيرة من جوامع الكلم ، ليس بينها رابطة في الفكر ولا في الموضوع ، وكل كلمة منها موضوع بتمامه

وقد قدمت القول عن هذه الكلمات القصار التي كان الرافعي ينشرها بعنوان « كلمة وكلمة » ؛ فحسب هنا أن أشير إلى موضوع هذه الكلمات ودوافعها :

في هذه الكلمات التي نشرها بالعدد ٦٥ سنة ١٩٣٤ كلمات عن المرأة والحب ؛ وهذه من فضلات المعاني التي اجتمعت له في مقالات المرأة والزواج ولم يجد لها موضعاً مما كتب ... وفي هذه الكلمات رسائل إلى ( فلانة ) من تلك الرسائل التي قدمت الإشارة إليها عند الحديث عن حب الرافعي . وفيها كلمات عن السياسة المصرية يعرف دوافعها من يذكر الحال السياسية التي كانت في مصر لذلك العهد وحكومة صديق باشا محتضر ... فن هذه العناصر الثلاثة اجتمع له هذا القدر من كلمة وكلمة

« ططا » محمد سعيد العريانه

\*\*\*

وجاء إلى الاخوان الذين يصرنونني برسائلهم أن يجعلوا عنواني (مؤقتاً) على دار الرسالة حتى تستقر في الرحلة